جديد: "الحزب الشيوعي الإسرائيلي والنكبة: الموقف والدور"

صدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات كتاب "الحزب الشيوعي الإسرائيلي والنكبة: الموقف والدور"، للكاتب محمود محارب. يقع الكتاب في 232 صفحة، ويشتمل على ببليوغرافية وفهرس.

يعالج الكتاب دور الحزب الشيوعي الإسرائيلي في النكبة، ويتابع انخراطه في الاستراتيجية الإسرائيلية طوال فترة حرب 1948، في جميع المجالات؛ العسكرية والسياسية والفكرية والإعلامية والدولية، لتحقيق هدفها. ويُظهر الكتاب موقف الحزب من إنشاء دولة يهودية في فلسطين، ودعوته إلى إنشائها قبل شهر ونصف الشهر من إصدار الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها بتقسيم فلسطين دولتين. ويقف على الأهمية التاريخية التي أعطاها الحزب الشيوعي لهذا القرار؛ نظرًا إلى منحه شرعية دولية لإنشاء دولة للمستوطنين اليهود في فلسطين. كما يوضح تأييد الحزب، على نحوٍ علني وفعّال، خرق إسرائيل هذا القرار خلال الحرب، ودعم احتلال الهاغاناه والجيش الإسرائيلي أراضيَ عربية فلسطينية ضمن الدولة العربية الفلسطينية وفق قرار التقسيم، وتأييده رفض انسحاب الجيش الإسرائيلي منها.

ويقف على المساعي المكثّفة التي بذلها الحزب مع الأحزاب الشيوعية الحاكمة في أوروبا الشرقية، للمساعدة في حصول الييشوف اليهودي وإسرائيل على السلاح والعتاد والمقاتلين والخبراء، إضافة إلى الهجرة اليهودية. ويتابع انخراط أعضاء الحزب وأنصاره في الهاغاناه والبلماح، ومن ثم في الجيش الإسرائيلي، ومشاركتهم في الحرب التي شُنّت على مدن فلسطين وبلداتها وقراها، وطردت منها الفلسطينيين وارتكبت المجازر في حقّهم.

التغيير الاستراتيجي في موقف الاتحاد السوفياتي

بحثت الجمعية العامة للأمم المتحدة القضية الفلسطينية، وشكّلت في أيار/ مايو 1947 لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين (UNSCOP) من أجل استقصاء الوضع فيها. وقد خشي الفلسطينيون من تشكيل هذه اللجنة، ومن إمكانية خضوعها للضغوط الصهيونية والاستعمارية، وخاصة الأميركية، فقاطعوها عند وصولها إلى فلسطين في حزيران/ يونيو 1947، بمن فيهم عصبة التحرر الوطني.

وعشية توجّه اللجنة إلى فلسطين، ألقى أندريه غروميكو، مندوب الاتحاد السوفياتي في الأمم المتحدة، في

جديد: "الحزب الشيوعي الإسرائيلي والنكبة: الموقف والدور"

14 أيار/ مايو 1947، بيانًا بخصوص الوضع في فلسطين. ومن المهم الإشارة إلى الربط الذي أقامه غروميكو في هذا البيان بين المسألة اليهودية في أوروبا والقضية الفلسطينية؛ إذ ذكر أن تطلّعات جزء كبير من الشعب اليهودي ترتبط بفلسطين، وحاجّ في ذلك بأنّ اليهود اضطُهدوا وعُذّبوا وأُبيدوا في الحرب العالمية الثانية، وأن اليهود الذين نجوا وظلّوا في أوروبا لا وطن لهم، وبناءً عليه رحّب الحزب الشيوعي الفلسطيني بدعوة غروميكو إلى إقامة دولة عربية يهودية متّحدة. أما عصبة التحرر الوطني المؤلّفة من الشيوعيين العرب الفلسطينيين، فقد أصدرت بيانًا طالبت فيه بإلغاء الانتداب البريطاني على فلسطين وجلاء القوات الأجنبية منها، وإقامة دولة فلسطين الديمقراطية التي تضمن العدالة والمساواة لجميع مواطنيها، وذلك من دون أن تعترف باليهود باعتبارهم شعبًا. وعارض بيان عصبة التحرر الوطني بشدة إمكانية تقسيم فلسطين.

وأشار شموئيل ميكونس في محاضرته إلى أن تأسيس الدولة اليهودية يُحدِث تغييرًا في قضيتين مهمتين، طالما دار صراع بشأنهما في العقود الماضية، وهما الهجرة اليهودية والأرض، موضحًا أنه سيكون في مقدور الدولة اليهودية عند تأسيسها استعمال الأراضي التي تسيطر عليها وفق احتياجات الجماهير ومصالحها الحيوية. وسرعان ما دعم ميكونس والحزب الشيوعي الإسرائيلي، بعيد تأسيس إسرائيل، سيطرة الدولة على الأراضي العربية. وأضاف ميكونس أن الحزب الشيوعي لن ينتظر تأسيس الدولة اليهودية التي ستحلّ بطبيعة الحال عند تأسيسها مسألة الهجرة اليهودية، وإنما سيستمر في نضاله من أجل حقّ ربع مليون يهودي موجودين في المخيّمات في أوروبا وقبرص.

خلافًا لموقفَي الحزب الشيوعي الفلسطيني والاتحاد السوفياتي، استمرت عصبة التحرر الوطني في رفضها الشديد لمشروع التقسيم، باستثناء تيارٍ كانت تمثّله الأقلية في اللجنة المركزية للعصبة، فنظّم اجتماعًا لأنصاره من أعضاء العصبة في مدينة الناصرة، في شباط/ فبراير 1948، وقد قاطعه ممثّلو الأغلبية في اللجنة المركزية للعصبة، وقبِل هذا الاجتماع قرار التقسيم. وشرع هذا التيار في العصبة، والذي كان يقوده فؤاد نصار وإميل حبيبي وتوفيق طوبي، في تبنّي موقف الاتحاد السوفياتي بشأن قرار التقسيم وتطوّرات القضية الفلسطينية.

ومن المهم الإشارة إلى أن عصبة التحرر الوطني، التي كانت في نطاق المنطقة المخصّصة للدولة الفلسطينية واحتلتها إسرائيل، قد حلّت نفسها واندمجت في الحزب الشيوعي الإسرائيلي، في تشرين الأول /أكتوبر 1948، أما

القسم الثاني من عصبة التحرر الوطني في المنطقة المخصّصة للدولة الفلسطينية، والتي ضمّها الأردن إليه، فقد حلّت نفسها في سنة 1951، وأسّست مع نفر من الأردنيين الحزب الشيوعي الأردني.

زيارات أوروبا الشرقية وجلب السلاح

أولى الحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي موقف دول أوروبا الشرقية، بقيادة الاتحاد السوفياتي، من القضية الفلسطينية، أهمية قصوى، وسعى بطاقاته كلّها لتجنيد مختلف أنواع الدعم من هذه الدول لإقامة دولة يهودية للمستوطنين الكولونياليين اليهود في فلسطين بقوة السلاح، على حساب الشعب الفلسطيني. وفي هذا السياق، أرسل الحزب الشيوعي، في كانون الأول/ ديسمبر 1947، اثنين من قيادة الحزب، هما إلياهو غوجانسكي وروت لوبيتش إلى دول أوروبا الشرقية، من أجل الاتصال بالأحزاب الشيوعية في هذه الدول وبالمسؤولين فيها، وبالتجمّعات اليهودية، لتجنيد مختلف أنواع الدعم والمساندة للمستوطنين الكولونياليين اليهود في الحرب وإقامة الدولة اليهودية في فلسطين. ولم يكتفِ الحزب الشيوعي بالجهود التي بذلها غوجانسكي ولوبيتش في دول أوروبا الشرقية لحشد مختلف أشكال الدعم لليشوف اليهودي في حربه ضدّ الفلسطينيين، فقرر أن يرسل أمينه العام، شموئيل ميكونس، إلى هذه الدول.

وقد سعى ميكونس لتحقيق أهداف عدة، اعتبرها الحزب على درجة كبيرة من الأهمية، وهي:

أولًا: الحصول على مختلف أنواع السلاح من هذه الدول للمنظمة العسكرية الصهيونية، الهاغاناه، ومن ثمّ للجيش الإسرائيلي، في الحرب ضدّ الشعب الفلسطيني. ثانيًا: العمل على تجنيد اليهود في هذه الدول، وخاصة الشبان وذوي الخبرة العسكرية التي اكتسبوها خلال الحرب العالمية الثانية، وفي جيوش دولهم، للمشاركة في الحرب. ثالثًا: العمل على فتح أبواب الهجرة اليهودية من هذه الدول إلى فلسطين، ولا سيما الهجرة المقاتلة. رابعًا: العمل على إقامة معسكرات في بعض هذه الدول، لحشد المتطوعين اليهود من مواطني هذه الدول وتدريبهم، تمهيدًا لإرسالهم إلى فلسطين للانخراط في الحرب. خامسًا: تنظيم حملة سياسية وإعلامية واسعة في هذه الدول، تهدف إلى تشويه نضال الفلسطينيين ومقاومتهم إقامة دولة يهودية للمستوطنين الكولونياليين اليهود في فلسطين على حسابهم، وتمجيد

سعي المستوطنين لإقامة دولة يهودية في فلسطين، وطرح هذا السعي على أنه نضال من أجل التحرّر القومي.

يقول يتسحاق رابين الذي كان قائد لواء في منطقة القدس في حرب 1948، عندما وصلت الأسلحة التشيكية في بداية نيسان/ أبريل 1948، في تلك الفترة الحاسمة - والذي أصبح لاحقًا رئيسًا لأركان الجيش الإسرائيلي ووزيرًا للأمن ورئيسًا للحكومة الإسرائيلية - في مذكراته: "مهما كان حساب دولة إسرائيل وحساب الشعب اليهودي مع العالم الشيوعي، فإنه ينبغي الكتابة على رأس الصفحة بأحرف بارزة وواضحة: من دون السلاح التشيكوسلوفاكي الذي من المؤكد أنه كان وفق تعليمات من الاتحاد السوفياتي، من المشكوك جدًا فيه إذا كان بقدرتنا الصمود في حرب استقلالنا، عندما أغلقت جميع دول الغرب مخازنها في وجهنا. وعندما حصلنا على البنادق والرشاشات والمدافع والطائرات من تشيكوسلوفاكيا، تمكّن جيش الدفاع الإسرائيلي من الصمود في المعركة الصعبة".

الحزب الشيوعي واحتلال المدن الفلسطينية

شنّ الحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي حملة واسعة ومستمرة لإشراكه في مؤسسات الأمن لليشوف اليهودي في فلسطين وفي مجلس الدولة اليهودية. وفي بداية آذار/ مارس 1948، أبلغت اللجنة القومية وإدارة الوكالة اليهودية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي موافقتها أن يكون للحزب ممثّل واحد في مجلس الشعب، وطلبت من اللجنة المركزية للحزب تسمية ممثّلٍ لها في هذا المجلس. وقد استجابت اللجنة فورًا، وعيّنت شموئيل ميكونس، أمين عام الحزب الذي كان حينئذ في أوروبا الشرقية، ممثّلًا لها في مجلس الشعب. لم يكتفِ الحزب بذلك، واستمر في مطالبته من أجل إشراكه في قيادة قوى الأمن لليشوف بعد انتهاء فترة اتفاق وقف إطلاق النار الأول، في 9 تموز/ يوليو 1948، شنّ الجيش الإسرائيلي هجمات كبيرة على مدن وبلدات وقرى فلسطينية كثيرة في مناطق واسعة تابعة للدولة العربية وفق قرار التقسيم، واحتلها وطرد سكانها الفلسطينيين منها. وقد أيّد الحزب الشيوعي بقوة احتلال الجيش هذه الأراضي التابعة للدولة العربية وتوسيع حدود إسرائيل، وشارك أعضاء الحزب وأنصاره الذين انخرطوا في صفوف الجيش في هذا الاحتلال، من دون تحفّظ.

الكاتب: رمان الثقافية